

## دارفور: طريقة حياة مفقودة

ناتالي أوندياك وعمر إسماعيل

يخلّف النزوح أثراً بالغاً على الدarfوريين بسبب طابع الإبادة الجماعية الذي يتسم به العنف هناك والذي لا يؤثر على تلك الملايين من النازحين الحاليين التي عانت من العنف نفسها وحسب وإنما سيستمر في صياغة حياة الدarfوريين لأجيال قادمة.

للاضهاد والقتل<sup>٢</sup> مما نتج عنه تقلصاً حاداً في القدرات القيادية داخل المجتمع المدني في دارفور.

وبالنسبة للأطفال، فإن حياة النزوح هي الحياة التي يعرفونها. فأغلب الأطفال لا يتذكرون حياتهم قبل العيش في المخيمات. غير أن القصص التي يرويها آباؤهم وأجدادهم تمنحهم إحساساً بالماضي، وبحياة

مقارنة بحالات النزوح المطولة، فإن الفترة الزمنية للهجرة القسرية التي تعرّض لها أهل دارفور ليست بطويلة. ولكن حقيقة أن الدarfوريين قد انتهى بهم المطاف إلى العيش في مخيمات تعني أنهم لا يستطيعون ممارسة الأنشطة المعيشية التي اعتمدوا عليها لأجيال طويلة<sup>١</sup>.

وكانت أمط الحياة في دارفور قد تأقلمت مع أجواء اتسمت بمحدودية الأراضي الصالحة للزراعة وقلة سقوط الأمطار. إذ كان حوالي ٨٥ بالمائة من الدarfوريين يعملون في الرعي والزراعة وكانت غالبية الأسر تملك المواشي. وقد أشار أحد النازحين إلى الحياة في المخيمات قائلاً: "كيف أستطيع تعليم طفلي الاعتناء بحيوانات لم نعد نملكها؟ وحتى إذا كنا نملك حيوانات، فكيف نستطيع رعايتها ونحن لا نملك الحرية للتجول بحثاً عن المراعي؟ وكيف أظل مزارعاً وأنا لا أملك أرضاً أزرعها؟"

وقد أدى مقتل مئات الآلاف من الدarfوريين إلى تدمير الهياكل الاجتماعية بشكل لا يمكن إصلاحه. إذ تم استهداف الذكور من سن التاسعة إلى التسعين استهدافاً عشوائياً، واضطرت المرأة إلى أن تضطلع بأدوار جديدة لتصبح ربة الأسرة وعائلها الرئيسي. كما أدى النزوح المطول إلى تجميد هذه الهياكل الجديدة على ما هي عليه.

وتنوع وقع وأثر التي خلفها النزوح والصراع على الأجيال المختلفة. فمن نواح عديدة يشكل المسنون الفئة الأشد تأثراً بالنزوح، إذ يتذكرون كيف كانت طريقة الحياة وكيف كان إقليم دارفور قبل أن يصبح مركزاً للصراع العنيف الذي أجبرهم على العيش في مخيم. فهم "حملة الأثوية" الذين يجسدون الثقافة التي ضاعت ويعتدون بمثابة مؤرخي دارفور، إذ يحرصون على نقل القصص وطريقة الحياة إلى الأجيال الشابة في ثقافة تقوم على التراث الشفوي. ومع مرور السنوات، لن يكون هؤلاء المسنون أحياء لينقلوا طريقة الحياة التي عرفوها.

كما قتل عدد كبير من رجال الجيل التالي، تاركين وراءهم العديد من النساء اللواتي اضطرن إلى تحمّل مسؤولية القيام بدور الأب والأم في آن واحد وكذلك رعاية وإطعام أسرهن. وبالتالي فقد تبدلت الأدوار التقليدية للجنسين التي كانت تحدد سبل العيش قبل اندلاع الصراع؛ وصارت العودة إلى الهياكل الاجتماعية التقليدية السابقة أمراً مستحيلاً. أما في الجيل الحالي، فقد تعرّض الكثير من قادة المجتمع والمعلمين والأطباء والتجار والمحامين

لقد تغيرت الشبكات والهياكل الاجتماعية إلى درجة أن الثقة في المستقبل لم تعد مضمونة وأصبح 'التخزين' - ويقصد به إبقاء اللاجئين في حالات ممتدة من الحركة المقيدة والبطالة الإجبارية والتبعية، أي تعليق حياتهم إلى أجل غير مسمى<sup>٥</sup> - أسلوب الحياة الطبيعي لهؤلاء الدarfوريين. ولكن يتعين على صناع السياسة أولاً إنهاء الصراع في دارفور، وعندئذ سيحتاج إنهاء حالة النزوح التي طال أمدها إلى استثمار المجتمع الدولي استثماراً طويل الأجل في إعادة بناء طريقة الحياة التي كانت قد دُمرت.



لاجئون دارفوريون يجمعون في باحة المدرسة في مخيم جبل في التشاد للتسجيل للسنة الدراسية المقبلة.

مطوية: الأمم المتحدة/الجزيرة الوثائق

ناتالي أوندياك

(nondiak@americanprogress.com) هي باحثة

مشاركة في مركز التقدم الأمريكي

(www.americanprogress.org).

أما عمر إسماعيل (redsiverpool@gmail.com)

فهو في الأصل من إقليم دارفور السوداني ويعمل

مستشاراً في مشروع Enough (كفي)

(www.enoughproject.org). وتتخذ المنظمات من

واشنطن العاصمة مقراً لهما.

١. <http://physiciansforhumanrights.org/library/documents/reports/darfur-assault-on-survival.pdf> pV

٢. <http://www.forcedmigration.org/guides/fmo040/>.

٣. <http://www.alertnet.org/thenews/newsdesk/TRIN/a95a529d2e11b6edad20c0d6c69d48aeb.htm>

٤. [http://www.nytimes.com/2008/12/21/world/africa/21darfur.html?\\_r=2&ref=africa](http://www.nytimes.com/2008/12/21/world/africa/21darfur.html?_r=2&ref=africa)

٥. اللجنة الأمريكية للاجئين والمهاجرين، المسح العالمي للاجئين لعام 2004، واشنطن العاصمة، 2004، ص 38

<http://www.refugees.org/data/wrs/04/pdf/38-56.pdf>

إلى ديارهم.